

## فجیعة الإنسانية برحيل النور الأعظم



### محاور الموضوع

#### توطئة

- حال البشرية قبل بعثته
- وأشرق الأرض بنور ربها
- أنا رحمة مهداة
- مجمع الخصال وأساس الوصال
- تغيب مع الشمس آثارها

### الهدف:

بيان أن إرتحال النبي ﷺ أشد رزية على البشرية وأعظم مصيبة

### تصدير:

«يا رسول الله لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة وأخبار السماء،

الإمام علي عليه السلام

### توطئة:

الموت سنة كونية يصيب كل حي، وكل شيء في هذا الوجود أقامته الحياة فسيكون محلاً لحلول الموت، إذ لا تبدل لسنة الله ولا تحويلاً، والموت يحمل معه الراحة والإستراحة كما جاء في الرواية عن النبي ﷺ: الناس إثنان «واحد أراح، وآخر استراح فأما الذي استراح، فالمؤمن إذا مات استراح من الدنيا وبلائها وأما الذي أراح فالكافر إذا مات أراح الشجر والدواب وكثيراً من الناس»<sup>(١)</sup>. ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «لم يخلق الله عزوجل يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت»<sup>(٢)</sup> - والموت ألزم للإنسان من ظله، فالموت معقود بنواصي أبناء آدم وهو أملك لهم من أنفسهم، إذ كل معدود منقّص وكل متوقع آت، هذا من جهة ومن جهة

ثانية فإن الفراغ الذي يحدثه موت المؤمن بمقدار المحل الذي كان يشغله حال حياته والحزن على فراق المتوفى يوازي الحاجة إليه وهو على قيد الحياة، والوحشة التي تصيب العباد بسبب فقدان تعادل الأنس الذي كان يظلمهم بسبب الوجدان، وهكذا فإن الفجیعة بحجم المصيبة، فكيف إذا كانت المصيبة بارتحال نبي الرحمة ورسول الهدى ﷺ، والتعبير الحقيقي عن عظمة هذه الرزية انعكس في مواقف وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام وما جرى على أحب الخلق إليه ألا وهي إبنته سيدة نساء العالمين عليها السلام.

### نهاية الرحلة:

سأل كعب الأحمبار عمر بن الخطاب بعد وفاة النبي ﷺ وفي أيام خلافة عمر، ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ، فقال عمر: سأل علياً، فسأل علياً عليه السلام، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أسندته إلى صدري، فوضع رأسه على منكبي، فقال: الصلاة، الصلاة. فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء، وبه أمروا، وعليه يبعثون».

وقد توفي ﷺ على ما اتفقت عليه كلمة محدثي الشيعة ومؤرخيهم في منتصف يوم الإثنين، الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة الحادية عشرة للهجرة.

ثم غسله علي عليه السلام، ولما فرغ من تكفينه فكّ الإزار عن وجهه، وقال والدموع تنهمر من عينيه الشريفتين:

«بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والأنباء. ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مماتلاً، والكمد محالفاً وقالاً لك، ولكنه ما لا يملك ردّه ولا يستطيع دفعه. بأبي أنت وأمي، أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك».

ثم صلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام أولاً، وبعد ذلك صلى عليه المسلمون جماعة جماعة. ثم دفنه عليه السلام في قبر حفرة في حجرته أبو عبيدة بن الجراح وزيد بن سهل، وعاونوه في دفنه الفضل والعباس.



فسلام الله عليه وعلى آله يوم ولد  
ويوم عُرِجَ بروحه ويوم يُبعث حياً.

## فتعالوا معنا نعرف ماذا خسر المسلمون برحيله ﷺ إذ كان: رحمة مهداة:

لقد تبين مما أسلفناه وكذلك  
بالاستناد الى الآيات القرآنية  
والنصوص الروائية والذي يحكيه  
الواقع لحركة النبي ﷺ أن الرسول  
محمد ﷺ من تجليات الرحمة  
الإلهية المفاضة على عباده، فالآية  
القرآنية صريحة حيث قال تعالى  
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً  
لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وكذلك جاء النص  
على أصدق لسان حيث قال  
ﷺ: «أيها الناس إنما أنا رحمة  
مهداة»<sup>(٢)</sup> - وكذلك عبر عن هذه  
الحقيقة أقرب الناس منه وأكثرهم  
معرفة فيه ألا وهو وصيه وخليفته  
من بعده علي عليه السلام حيث قال:  
«حتى أرى قبساً لقابس، وأنار  
علماً لحابس، فهو أمينك المأمون،  
وشهيدك يوم الدين، وبيعثك  
نعمة، ورسولك بالحق رحمة»<sup>(٣)</sup>.

## مجمع الخصال وأساس الوصال:

لقد تحلّى النبي ﷺ بمحامد  
الصفات ومكارم الاخلاق حتى غدا  
مجمعاً لصفات الجمال والكمال  
بل ليس من المبالغة إن قلنا إن  
الصفات أضحت صفات جمال  
وأُمست صفات كمال لأن حاملها  
هو خير البشرية محمد ﷺ وكل  
واحدة من هذه الصفات لو انفرد  
واحد بأحدها لدلّ على جلالة

فكيف من اجتمعت فيه، ويدل عليه  
ما أورده العلامة المجلسي رحمه  
الله حيث قال كان النبي ﷺ قبل  
المبعث موصوفاً بعشرين خصلة  
من خصال الأنبياء، لو انفرد  
واحد بأحدها لدلّ على جلالة،  
فكيف من اجتمعت فيه: «كان نبياً  
أميناً، صادقاً حادقاً، أصيلاً نبيلاً،  
مكيناً مضحياً، نصيحاً، عاقلاً،  
فاضلاً، عابداً، زاهداً، سخيّاً مكيناً،  
قانعاً، متواضعاً، حليماً، رحيماً،  
غيوراً، صبوراً، موافقاً مرافقاً،  
لم يخالط منجماً ولا كاهناً ولا  
عيافاً»<sup>(٤)</sup> وبحق هو مجمع الخصال  
ويكفيه في ذلك قول خالقه وبارئه  
وأخبر الوجود به وهو الله سبحانه  
وتعالى حيث قال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ  
خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

إنعكست هذه الصفات  
الحميدة على الناس أجمعين ممن  
عاصره أو جاء بعده وعلى كل من  
وجد في خاتم الأنبياء قدوته وممن  
اعتصم به وأخذ بحجزته.

## تغيب مع الشمس آثارها:

حينما تغرب الشمس يلج الليل  
وتزول الحمرة من الأفق ليسود  
الظلام، وهكذا يفقد الناس الضوء  
ويتحسسون البرد لعدم الشعور  
بالدفء وكذلك فإن أفول شمس  
الإنسانية يتبعها عدم الاستفادة من  
ضوء الهدى وعدم الشعور بدفء  
الرحمة هما يثير الوحشة، وهذه  
هي حال البشرية التي كانت تنعم  
ببركات وجود نبيها ﷺ وتسعد فيها  
حال حياته، فإنها تتألم لفقدانه

وتفجع بارتحاله لأنه رسول البشرية  
ونبي الإنسانية. وعن أنس بن مالك  
قال: لما فرغنا من دفن النبي ﷺ  
أنت فاطمة عليها السلام فقالت: «كيف  
طاوعتكم أنفسكم على أن تهيلوا  
التراب على وجه رسول الله، ثم  
بكت وقالت: يا أبتاه أجب رباً دعاء،  
يا أبتاه من ربّه ما أدناه...» وعلى  
رواية معتبرة أنها أخذت كفّاً من  
تراب القبر الطاهر فوضعت على  
عينها وقالت:

ماذا على المشتّم تربة أحمدَ  
أن لا يشمّ مدى الزمان غواليها  
صُبت عليّ مصائب لو أنّها  
صُبت على الأيام صرّ لياليها  
وفي هذا اليوم أيضاً كانت  
شهادة الإمام أبي محمد الحسن  
عليه السلام على رواية فينغي للموالي  
أن يتذكر في ذلك اليوم مظلوميته  
المقرحة للقلوب، والمهيّجة  
للأحزان، ويصلي عليه كما ورد  
في مفاتيح الجنان في الصلاة  
عليه عليه السلام: «... أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى  
الحسن ابن سيّد النبيين، ووصيّ  
أمير المؤمنين، السّلام عليك يا  
ابن رسول الله ﷺ السّلام عليك  
يا ابن سيّد الوصيين، أشهد  
أنك يا ابن أمير المؤمنين أمينُ  
الله وابنُ أمينه، عشت مظلوماً  
ومضيت شهيداً، وأشهد أنك  
الإمام الزكي الهادي المهدي،  
أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَبَلِّغْ رُوحَهُ  
وجسده عني في هذه الساعة  
أفضل التحية والسلام».



(٤) - العيان: المكتوف، الذي يعمل العيافة أي زجر الطير  
.... / بحار الانوار ج ١٦/ ص ١٧٥  
(٥) - قرآن كريم / سورة القلم ٤

(١) - قرآن كريم / سورة الانبياء ١٠٧  
(٢) - الطبقات الكبرى ج ١ - ص ١٩٢ .  
(٣) - نهج البلاغة خطبة ١٠٦